الوظيفة اللغوية عند الدكتور علي الوردي

إعداد
د.هادي شندوخ حميد
د. أحمد علي حنيحن

الملخص

اللغة عند الدكتور علي الوردي نشاط خلاق ونشاط اجتماعي لتطور البشر ذلك كان الوعي فيها جزءا من صيرورة الوعي الفكري الذي بامتلاكه الأمثل تكون المقدرة على الإبداع لان اللغة تمثل طاقة واسعة في أبنيتها وتراكيبها وفيها طاقات تحويلية كثيرة يكشف الاستعمال الأمثل جمالها ومقدرتها على الإبداع فلم يؤسس الخطاب اللغوي بعيدا عن المجتمع ، فكثيرا ما تتجلى الثقافة والقيم والعادات والتقاليد لمجتمع ما بتمثلات اللغة تعبيرا وصورا ، إلى الحد الذي يلحظ فيه الوجه الحضاري بهذه التمثلات ، وهو أمر ليس بعيدا عن الدارسين القدماء والمحدثين ، فقد فطن سيبويه والجاحظ وابن جني وابن خلدون إلى ملاحِظه في كلام العرب،ناهيك عن الكتابة فيه عند المحدثين بعنوان علم اللغة الاجتماعي ،مراعين فيه الوظيفة اللغوية وعلاقتها بالمجتمع . كون اللغة هي ظاهرة اجتماعية تعبر عن العقل الجمعي ومافيه من تجليات لايمكن فصلها بحال من الأحوال عن السلوكيات الدافعة لذلك التجلي من هنا كان البحث في شخصية حاولت أن تؤسس لخطاب لايعرف أشكال القطيعة بين العلوم الإنسانية فالقيم والعادات والتقاليد هي التي كرست في منظومتها المنطوقة والمكتوبة لفعل لغوي سالب أو منشط للعقل الجمعي في حركته الزمانية والمكانية . هي شخصية الدكتور الوردي وهو واحد من الملهمين الذين تلحظ عنده اللغة أنها منظومة قائمة على نسق متكامل تظهر فيه خصائص المجتمع وصفاته الحقيقية المعبر عنها شعرا أو نثرا أو بلغة الحكي اليومي. من هنا انطلق البحث لبيان تلك الوظيفة مقسما إياها على مبحثين : الأول : اللغة والقيم الاجتماعية، والثاني : اللغة والطبقية الاجتماعية. تلي ذلك خاتمة البحث ومن ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه .

Linguistic function when Dr. Ali Al-Wardy

Did not establish discourse linguistic away from society, often Mataatgely culture and values, customs and traditions of a society Pettmtlat language expression and photographs, to the extent that notice the civilized face of these representations, which is not far from studying ancient and modern, the shrewd Sebojh and bigeye and I'm reaping the IbnKhaldun to note in the language of the Arabs, not to mention writing when modernists titled it Sociolinguistics, mindful of the language function and relationship to society.The fact that language is a social phenomenon express the collective mind and Mafany of manifestations can not be separated in any way for behaviors driving the Transfiguration from here the search in personal tried to establish a speech not know forms estrangement between Humanities values, customs and traditions are devoted in its system of spoken and written to do a language negative or collective tonic for the mind in the temporal and spatial movement. Personal Dr. Al-Wardy is one of the visionaries who noticed him language they list system in an integrated format showing the properties and attributes of community expressed real poetry or prose or storytelling language daily. From here began search to a statement that function divided them on two themes: first: language and social values, and the second: language and social class. Following the conclusion of research and then a list of sources of research and review.

المقدمة

لم يؤسس الخطاب اللغوي بعيدا عن المجتمع ، فكثيرا ماتتجلى الثقافة والقيم والعادات والتقاليد لمجتمع ما بتمثلات اللغة تعبيرا وصورا ، إلى الحد الذي يلحظ فيه الوجه الحضاري بهذه التمثلات ، وهو أمر ليس بعيدا عن الدارسين القدماء والمحدثين ، فقد فطن سيبويه والجاحظ وابن جني وابن خلدون إلى ملاحِظه في كلام العرب،ناهيك عن الكتابة فيه عند المحدثين بعنوان علم اللغة الاجتماعي ،مراعين فيه الوظيفة اللغوية وعلاقتها بالمجتمع . كون اللغة هي ظاهرة اجتماعية تعبر عن العقل الجمعي ومافيه من تجليات لايمكن فصلها بحال من الأحوال عن السلوكيات الدافعة لذلك التجلي من هنا كان البحث في شخصية حاولت أن تؤسس لخطاب لايعرف

حنيحن

أشكال القطيعة بين العلوم الإنسانية فالقيم والعادات والتقاليد هي التي كرست في منظومتها المنطوقة والمكتوبة لفعل لغوي سالب أو منشط للعقل الجمعي في حركته الزمانية والمكانية . هي شخصية الدكتور الوردي وهو واحد من الملهمين الذين تلحظ عنده اللغة أنها منظومة قائمة على نسق متكامل تظهر فيه خصائص المجتمع وصفاته الحقيقية المعبر عنها شعرا أو نثرا أو بلغة الحكي اليومي. من هنا انطلق البحث لبيان تلك الوظيفة مقسما إياها على مبحثين : الأول : اللغة والقيم الاجتماعية، والثاني : اللغة والطبقية الاجتماعية. تلي ذلك خاتمة البحث ومن ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه .

المبحث الأول: القيم الاجتماعية واللغة: من التجربة إلى الخطاب:

لعل اللغة قبل أن تكون خاصة نطقية ينماز بها الإنسان هي ظاهرة اجتماعية يشترك فيها العقل الجمعي بنسق يقوم على التواصلية المؤسسة لأنماط السلوك وطرائق التفكير، من خلال رموزها المنطوقة أو المكتوبة ، ((تتحول الجغرافية البشرية إلى تاريخ مؤنسن حيث يتوازى الحضور في العالم مع تعبيراته الحضارية))(١). على الرغم من كثرتها وتنوع صورها الكتابية . شأنها في ذلك شأن الكائن الحي ، يقول جرجي زيدان : ((إن اللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء)) (٢) ، تؤثر وتتأثر بما حولها، كانتقال اللغة من السلف إلى الخلف والتأثر بالوافد الجديد، وبروز العوامل الاجتماعية والنفسية والجغرافية مثل حضارة الأمة ونظمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناحي وجدانها ونزوعها وبيئتها الجغرافية، (٣). فهي بوجه عام ((صنيعة المجتمع ووليدة حاجاته وهي تنمو حسب الظروف المحيطة بها)) (٤) أو كما يقول فندريس : ((إنها نتاج الاحتكاك الاجتماعي)) (٥). بما فيه من ظواهر ((لها قوة قاهرة آمرة تفرض بها على أفراد المجتمع ألوانا من السلوك والتفكير والعواطف وتحتم عليهم ان يصبوا سلوكهم وتفكيرهم وعواطفهم في قوالب محدودة ومرسومة على حد تعبيرهم)) (٦) ترافقها صور تقوم مقام معانيها بعلاقة قريبة اوبعيدة . وتلك الصور غالبا ماتكون من نسج الواقع الذي تسود فيه الأفكار والاعتقادات والتقاليد التي تشكل في النهاية مدونة لغوية اجتماعية ، حرص الوردي على اظهارها بتتبع تاريخ انبثاق الخطاب الثقافي واستعمالاته، اضافة إلى رصد قنواته الاتصالية والتواصلية في شبكات المجتمع ذات الابنية اللغوية والشكلية التي تؤطر كينونة الأفراد، وتعيد انتاجهم بواسطة الكلام وانظمة الحكي القديمة. كل تلك الممارسات تبدو بوضوح –حسب العلاّمة- في لغة الشعائر الدينية الشكلية؛ ولهجة الشارع المحلية؛ ولغة البيوت والعشائر العراقية وتقنيات العراك اليومي والشعر، فمن خلال وصف تلك المواقع الثقافية، يمكن فقط تتبع صيرورة اللغة وتحولاتها وانحرافاتها في الخطاب الذي يعتبر مركز الممارسات الاجتماعية.. (٧): عبر الزمن.. بوصف اللغة لها سلطة أخذت حاكميتها اللاشعورية في الإنسان فأصبح منصاعا لها دون كشف لما فيها من انساق مضمرة قد تتعارض مع المألوف من السلوك القيمي.

أما القيم فهي : ((ضوابط سلوكية تتأثر بأفكار ومعتقدات الإنسان، وهذه الضوابط تضع سلوك الإنسان في قالب معين يتماشى مع ما يريده المجتمع ويفضله)) (٨) أو أنها نظام من الضغوط الجماعية لتوجيه السلوك، ومن ثم الأفكار والتصورات لتأول هذا السلوك وإعطائه معنى وتبريراً معينا ، أو تعرف بأنها مبدأ مجرد وعام للسلوك، يشعر الجماعة نحوه بالاعتبار الانفعالي القوي ويوفر لهم مستوى للحكم على الأهداف و الأفعال . (٩).

ولا يخفى انه ليس للقيم الاجتماعية وجود مستقل عن اللغة اذ تشكل القيم الاجتماعية واقعا لغويا مكثفا يتصعد تارة ويهبط أخرى نتيجة الإلحاح على تلك القيمة أو غيرها بالوسائل المختلفة يقول الوردي واصفا علم الاجتماع من احد زواياه باعتباره معبرا عن تلك القيم:: ((بانه علم "متواضع" يستمد أكثر معلوماته من السوقة ومن السفلة والمجرمين والغوغاء. فهؤلاء بمن ابرز مفاخراتهم، وبتعاونهم وتنازعهم، يمثلون القيم الاجتماعية السائدة اصدق تمثيل. وهم بهذا المعنى افضل من المتعلمين. فالمتعلم يميل عادة الى التحذلق والى التظاهر بخلاف ما يضمر. اما العامي فهو في الغالب غير قادر على اخفاء ما في اعماق نفسه من عقد وقيم. فهي تظهر عليه حين يتنازع أو يتشاتم وحين يتعاون أو يتفاخر))(١٠).

أما صور التداخل او التشرب اللغوي بالمعطى القيمي الاجتماعي فيلحظ عند الدكتور الوردي في اشكال مختلفة منها ،يقول العلاّمة:((..إن الأزقة تربي الطفل وتعده لكي يكون "شقيا" مغوارا يعتدي على غيره ولا يستطيع احد أن يعتدي عليه. وأمه تحرضه أن يكون مثل أبيه "إذا مشى هز الأرض بأقدامه"))(١١) ، هنا يتضح كيف أن الخطاب يمتزج بالسلطة ليحرض على إنتاج القوة من خلال سياسيات التلاسن اللغوي التي يكتسبها الطفل عن العائلة والشارع، وجميع ذلك في النهاية، يمثل ابسط الممارسات الأيديولوجية التي تخدم الخطاب الشمولي السائد، وفي هذا المختبر القيمي تتشكل أخلاقيات وقيم الأزقة التي أهم ما يميزها بحسب رؤية الوردي:((الشجاعة في المعارك...القدرة على النهب والاغتصاب...المصارعة البدنية...القدرة على خداع الغير

حنيحن

والكيد به...الضحك على الغير والاستهزاء به ...اللواط))(١٢). هكذا يشخص العلاّمة حركة الخطاب وتم فصلاته بين قنوات المجتمع خاصة في المناطق التي عزلت بالإهمال والنسيان كالزقاق والمحلة...الخ، والتي تمثل تفرعات الخطاب وبدايات اللسان اللغوي. (١٣) ويتضح في الولع الشعري ايضا باعتبار ان : المجتمع اذا كان منهمكا في الشعر صارت لغته ذات خصائص ملائمة لهذا الانهماك وهي لا تستطيع إذا أن تكون ذات خصائص أخرى مختلفة (١٤):لما للمجتمع من دور فاعل في تحريك الثقافة وتوجيهها صوب المتداول على الرغم من سعة مساحتها .ولاشك ان تلك الثقافة تنتقل من الواقع الى النص الذي يمثلها ويرسخها في ذاكرة الزمن سواء كانت تقاليد ام قيما ام اعتقادات ،فمن المعلوم ان الفرد يستقي من مجتمعه كل ما يفرده كينونة بشرية من لغة ومعارف وتصورات عن الحقوق والواجبات وأصول السلوك وقواعد في العمل فان العادات والتقاليد تلعب دورا مهما في ترسيخ كل هذه مجتمعة وفرضها على الافراد والجماعات انماطا في الفهم والسلوك والتعامل تبدو وكانها فطرية لاشعورية تنبع من داخل من يلتزم بها ويعتمدها اساسا في نظرة او سلوك ، كالخطاب الوعظي يقول الدكتور الوردي:((ولا ريب ان عدد الواعظين اخذ يزداد في ظل الدولة العباسية وينمو نموا فظيعا. وكان كل وزير أو امير يخصص جزءاً كبيرا من الاموال التي ينهبها لبناء المساجد والتكايا وللترفيه عن المرتزقة الذين يأوون اليها من طلاب الفقه والعبادة..وكان الواعظ يعطى على مقدار ما يتحذلق به من جيد اللفظ وبلاغة الاسلوب. واذا اشتهر احد الواعظين ببلاغة وعظه، جاء الخليفة هو واهل بيته ووزرائه وحاشيته يستمعون اليه، ويبدون بين يديه من مظاهر التوقير والاحترام ما يشجّع غيره على اتباع طريقه. .لقد صار الوعظ مهنة تدر على صاحبها الاموال، وتمنحه مركزا اجتماعيا لا بأس به. واخذ يحترف مهنة الوعظ كل من فشل في الحصول على مهنة اخرى. انها مهنة سهلة على اي حال. فهي لا تحتاج الا الى حفظ بعض الآيات والاحاديث ثم ارتداء الالبسة الفضفاضة التي تملأ النظر وتخلبه. ويستحسن في الواعظ ان يكون ذا لحية كبيرة كثة وعمامة قوراء. ثم يأخذ بعد ذلك بإعلان الويل والثبور على الناس، فيبكي ويستبكي -ويخرج الناس من عنده وهم واثقون بان الله قد رضى عنهم وبنى لهم القصور الباذخة في جنة الفردوس. ويأتي المترفون والاغنياء، والحكام فيغدقون على هذا الواعظ المؤمن ما يجعله مثلهم مترفا سعيدا. انه يصلي بالأجرة ويصوم بالأجرة ويحج بالأجرة، وهو يريد من الناس جميعا ان يصوموا ويصلوا ويحجوا مثله- ناسيا ان الفقر والكفاح في سبيل الرزق قد اعمى الناس عن كل شئ سوى لقمة الزقوم! قلت لاحد العمال ذات يوم، وكان الفصل صيفا شديد الحرارة: لماذا لا تصوم أيها الزنديق ..فأجابني بحرقة: ان الصوم يا مولانا قد فرض على اهل السراديب وحدهم!...عند هذا شعرت بأني ظلمت الرجل...الواقع ان الوعاظ والطغاة من نوع واحد. هؤلاء يظلمون الناس بأعمالهم، وأولئك يظلمون بأقوالهم. فلو ان الواعظين كرسوا خطبهم الرنانة على توالي العصور في مكافحة الطغاة واظهار عيوبهم لصار البشر على غير ما هم عليه الان))(١٥).

بهذه الطريقة تتم حماية اللغة والحفاظ على استمرارية الخطاب من خلال هيمنة المقدس على السنة العوام، وسيطرة ثقافة الوعظ الديني، الذي هو في النهاية الأداة التي تخدم المؤسسة السلطوية الحاكمة، من خلال نصوصهم المقدسة وخطبهم الروحية التي تمثل وظائف اللغة الشكلية المقدسة التي شطرت العالم الى نصفين: نصف مفارق ومتعال يمثل عالم الملفوظ المقدس المسيطَر عليه من قبل الطبقات الدوغمائية؛ وعالم الوجود الجسدي الإنساني المراقَب والمعاقَب، فكلا العالمين متناقضين من حيث البنية المنطقية والمفاهيمية، ويبدو هذا التناقض على أشده لدى الطبقات المحرومة التي دفعت ثمن ذلك الانشطار الأزلي بسيطرة لغة المحرمات والتابوهاتالميثية على أذهانهم وأجسادهم (١٦) ومن الصور الاخرى التي تشكل القيم الاجتماعية ما يظهر في مركب الثقافة البدوية المتكون من عناصر العصبية والغزو والمروءة التي يعبر عنها أحيانا بالتغالب ، فالفرد البدوي يريد أن يغلب بقوة قبيلته اولا وبقوة شخصيته ثانيا وبمروءته أي بتفضله على الغير ثالثا .(١٧) والتغالب نزعة تسيطر على شخصية البدوي وتجعله ينظر في كل الأمور حسبما توحي إليه ان يود أن يكون ناهبا لامنهوبا معتديا لا معتدى عليه معطيا لا قابضا مقصودا لا قاصدا مغيثا لا مستغيثا مجيرا لا مستجيرا قادرا لا مقدورا عليه حاميا لا محميا مسؤولا لا سائلا مرجوا لا راجيا مشكورا لا شاكرا (١٨) . التي لا تقف عند زمنها فحسب فيلحظ انها ظهرت في إطار الصراع بين النماذج الثقافية يذكر الدكتور الوردي:((ولو درسنا المجتمع العراقي في العهد العثماني الذي نأى بعبئه اهل العراق عدة قرون لوجدنا من صور التصادم الحضاري ونزاع القيم شيئا عجبا. فقد كانت الحكومة المركزية آنذاك ضعيفة كل الضعف سيما في العهد الاخير منه، فهي كانت لا تستطيع ان تحمي مظلوما أو تردع ظالما وكان دأبها جباية الضرائب وانمائها على حساب الضعيف والمسكين. وقد ادت هذه الحالة الى انتشار الاساليب العشائرية في سبيل حماية الارواح وضبط الامن. ومما يؤثر عن ذلك العهد المتأخر ان كثيرا من المدن العراقية حاولت ان تنظم نفسها على اساس عشائري فتنتخب شيوخا لها وتطالب بالثائر...وما الى ذلك من اساليب عشائرية. وقد دعى هذا الوضع الى انتشار القيم البدوية في المجتمع العراقي بشكل فظيع، فأصبح الفرد العراقي شديد التمجيد للقوة كثير التباهي بها متعصبا لمدينته أو محلته كما يتعصب البدوي لقبيلته في الصحراء. ويقال ان كثيرا من رؤساء المدن كانوا يحاولون ان يكونوا

حنيحن

لصوصا يسطون على الدور ليلا أو قتلة سفاكين ذلك لكي يقال عنهم "انهم رجال ليل" فيجلبوا لأنفسهم بذلك المكانة اللائقة في المجتمع واني اعرف شخصيا رئيسا من رؤساء العهد القديم كان غنيا وافر الغنى ومع ذلك كان يتنكر ليلا فيذهب الى السطو واعمال البطولة الليلية، وبدا كأن الناس يحترمونه ويخافونه))(١٩). يبرز من النص السابق عملية تحول خطاب الازدواجية من فترة تاريخية الى فترة اخرى، حيث يتضح كيف شكل النموذج الثقافي العثماني مرحلة ثقافية جديدة سياسيا وإداريا وبيروقراطيا، افرز ممارسات لغوية جديدة تتمثل في ولادة الخطاب العشائري الذي يمهد لتغلغل وانتشار البداوة وقيمها وتقاليدها الثقافية. ومن جانب اخر، انتج ذلك النموذج ما يعرف بخطاب القوة وتمجيد التمركزات الاثنية العشائرية والمناطقية والمحلية، وهي في مجملها اثريات من القيم البدوية بحسب رؤية العلاّمة. (٢٠) التي تعد من الركائز المهمة في حياتهم ، يقول احد المستشرقين : ((إن الفضائل الرئيسة في البداوة هي الشجاعة والكرم والضيافة والولاء للقبيلة والثأر وقد حاول مور ان يحصر تلك الفضائل في اثنتين فقط هما الشرف والثار اما غولدزيهر فقد حصرها في واحدة هي المروءة ولكنه جعلها تشمل مظاهر شتى هي الشجاعة الشخصية والشهامة التي لاحد لها والكرم الى حد الإسراف والإخلاص التام للقبيلة والقسوة في الانتقام والأخذ بالثار ممن اعتدي عليه او على قريب له او على قبيلته بقول او فعل)) (٢١) هذه القيم تحولت الى خطاب ذي وظيفة ابلاغية يتداول ويفتخر به بين قبيلة وأخرى وشخص وآخر . اذن فالكلمات اكبر بكثير من مجرد أدوات عقلانية. يتضح ذلك اذا علمنا أن المعتقدات الراسخة تنتج بالضرورة من استعمالات اللغة التقليدية أو السائدة، التي عادة ما تكون ذات صلة متينة مع الأيديولوجية، فتعمل على تنميط عملية تفكير الناس ومشاعرهم وطرق حكمهم على وظائف الأشياء. على هذا النحو، تميل اللغة السحرية الشفاهية إلى أن تبرهن على مصداقيتها بصورة تلقائية: فطبيعة أحكامنا على الأشياء تتشكل وفق ما نكون عليه وما نعتقد به، والى اي حد نكون فيه تابعين إلى تلك اللغة (٢٢) وبهذا يكون ذلك التفكير في تلك السلوكيات تحول من تجربة إلى خطاب له أصوله وآلياته في حدود المنطق المتداول آنذاك الذي انعكس بثقافة لها معالمها وحدودها لايخرج عنها الاماندر ((فمعايير التفكير وقوانينه في الواقع تؤخذ من مصطلحات المجتمع وتنبئ على أساس قيمه وتقاليده ومن الصعب جدا ان تقنع امرءا على را ي يخالف ماتعود عليه من مصطلحات اجتماعية)) (٢٣) ، وهذا مافعله الوردي في تشكيل ورشة عمل تحليلية ضمن منهجه واختصاصه الاجتماعي، تهدف إلى تحليل ذلك النسق اللاهوتي والديني المقدس ذي اللغة الشكلية المجردة المتعالية، الذي يظهر ان هيمنة تلك اللغة في المجتمع له اثر بالغ في استمرار مسلسل التخلف الثقافي وغياب النقد الابستمولوجي للمؤسسات الاجتماعية، التي لم تفلح في اظهار ان الشخصية صنيعة الثقافة الاجتماعية وصورة مصغرة لها في الغالب فالفرد لايكاد يفتح عينه للحياة حتى يجد الثقافة الاجتماعية قد ضربت نطاقها عليه وشملته بقيمها ومركباتها وطابعها العام.فهو إذن سينشأ وتتبلور شخصيته في حدود القالب الذي صنعته الثقافة الاجتماعية له انه يجد الذين حوله يتفاخرون ويتشاتمون طبقا للقيم التي اوحت بها الثقافة فهو إذن يشعر بالميل الشديد نحو تحقيق قيم الفخار في نفسه ونحو الابتعاد عن قيم الشتيمة جهد إمكانه (٢٤) ، وهو مانعكس بشكل جلي في مدونتهم الموسومة بديوان العرب ، فكما هو معروف أن الشعر يعد أهم ركائز الثقافة البدوية استخدمه الوردي تنظيريا ليرى من خلاله بعض مؤشرات التناشز الثقافي وازدواجية الشخصية فالشعر العربي باعتقاده عندما خرج من البادية ودخل إلى حياة المدينة لم يتحرر من سماته البدوية التي تضم قوة التعبير وتأكيد فصاحة وبلاغة الكلمة والتمسك بالمعاني والقيم التي تعصب البدو لها وقد استمرت هذه الأغراض والمواقف والقيم الشعرية البدوية حسب قناعة الوردي حتى اليوم وهي تلاحظ في شعر بعض الشعراء والأدباء المحدثين . (٢٥) ،فطابع الشعر العربي العام يؤشر إلى سمات عامة تتمثل في التفاخر والتعالي بعيدا عن نقد الذات والواقعية كما انه يميل إلى المبالغة والكذب حتى قيل إن أعذب الشعر أكذبه و في الآية (والشعراء يتبعهم الغاوون) وهما مؤشران يشخصان سمات الشعر العربي (٢٦) . كون ذلك الفعل مؤسس على استراتيجية مقصودة ، يقول بعض الباحثين : ((لقد رعى اللغة الفصحى واكتشف قواعدها العويصة اناس كانوا يريدون ان يتقربوا الى الامراء والملوك بمثل ما كان يتقرب به المغنون وبائعو الجواري. فلم يكن الامير يهتم باللغة الفصحى في ادارة اعماله؛ انما كان يتفرغ لها، بعد ان ينتهي من ظلم الناس او العدل بينهم، كما كان يتفرغ لقصيدة رنانة في المديح او اغنية مثيرة في الغزل. ولهذا السبب كان الادب والشعر وغيرهما من افانين اللغة الفصحى لا يهتم بها عادة عامة الناس. فهي كانت محصورة بين جدران بعض القصور الباذخة المملوءة بالجواري. لهذا كانت اللغة تنمو اذا شجعها الامراء وتنافسوا في تحبيذها، وتخمد اذا التهى الامراء عنها بملاه اخرى)) (٢٧) وعلى فرض القول بالانتحال في الشعر الجاهلي فانه يظل نافعا لنا من الحياة الاجتماعية اذ ان الرواة الذين نفترض انتحالهم له لايستطيعون أن يخرجوا به عن إطار القيم البدوية المعروفة. (٢٨).ولعل قصيدة عمر ابن كلثوم التي افتخربها فيها بقومه هي قصيدة عامرة بنزعة التغالب : (٢٩)

إذا ما المَلكُ سامَ النَّاسَ خَسفاً ... أَبَينا أَنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فينَـــا
ألا لا يَجهَلَنْ أحَـــدٌ عَلَينـا، ... فَنَجهَلَ فوقَ جَهلِ الجاهِلينَا

حنيحن

مَلأنا البَرَّ حتى ضـــــاقَ عَنّا، كَذاك البَحرَ نَملَؤهُ سَفـــينَا
إذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا رَضيـــــعٌ، تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِديـــنَا
لَنَا الدُّنيا، وَمَنْ أضحَى عَليها، ونَبطِشُ حينَ نَبطِشُ قَادِرِينَا
فإنْ نَغلِبْ، فَغَلَّابُونَ قِدمـــــاً، وَإنْ نُغلَبْ، فَغَيرُ مُغَلَّبـــــينَا

يقول الدكتور الوردي: ((لايحسبن القارئ هذه قصيدة شاذة من الشعر الجاهلي الواقع إننا كلما توغلنا في دراسة الشعر الجاهلي عثرنا فيه على عدد متزايد من الأبيات التي تشبه في مغزاها الاجتماعي قصيدة ابن كلثوم فهي كلها إلى النزعة الشديدة المسيطرة على نفسية الرجل البدوي والتي تدفعه دائما نحو القوة والغلبة ونحو الفخار بها فهو يفاخر بقبيلته لانتصارها على القبائل الأخرى وهو يفاخر بنفسه لتفوقه على الأقران في الشجاعة وكثرة الغنيمة وهو أخيرا يفاخر بمروءته يتفضل بها على الناس لا يتفضل احد عليه (٣٠) هذه القيم هي كاشف عن حقيقة نفسية الشعوب وحياتها الذهنية والروحية فضلا عن انها باعث لمعرفة دوافع ذلك السلوك والميل إليه في حياة المجتمعات البشرية ومن المظاهر الأخرى التي تجسدت لغة من خلال الواقع الاجتماعي ماجاء مأثورا في قولهم :(السؤال ذل ولو اين الطريق) فهم متيقنون ان من مظاهر عزة النفس والأنفة في الرجل البدوي الامتناع عن سؤال غيره ولو سؤالا استفهاميا بسيطا ، ومثل ذلك التمنع عن قبول هدية او عطية أو طعام تمنح اليهم حتى أصبحت عادة مستحكمة لديهم (٣١) .:يقول الشنفرى : (٣٢)

وأستَفُّ تُربَ الأرضِ كيْ لا يَرَى لَهُ عَلَيَّ من الطَّوْلِ امرُؤٌ مُتَطَوِّلُ.

ويشخص الدكتور الوردي ايضا بعض القيم الاجتماعية التي تبدو المدخل الرئيسي لدراسة مجمل اشكال وصور الحياة الاجتماعية السوية والغير سوية؛ الصحية والمرضية، لان تلك الاشكال هي التي من شكل اطرنا الذهنية ومقولاتنا التقليدية حول الواقع والعالم والأشياء، كالعصبية القبلية التي تمثل امتدادا للقيم السائدة في الصحراء، كالنخوة والشهامة والنجدة والتعاون ، كما في قول الشاعر: (٣٣)

فلما عَصَوني كنتُ منهم وقد أرى غَوايتَهم وأنني غيرُ مُهتَدي
وما أنا إلا من غَزِيّة إن غَـــــوَت غويتُ وإن تَرشُد غَزِيّة أرشُد

ولايقف الأمر عند هذا الحد بل يلحظ الكثير من الأفكار والمعتقدات والقيم الخاطئة وقد بنيت عليها من الأحكام والتوقعات المسبقة الخاطئة أيضا وهو مايطلق عليه الوردي (الظلم الاجتماعي) ويعرفه بانه الظلم الذي يقع بين الناس من جراء بعض المعتقدات اوالقيماوالتقاليد أو المفاهيم الشائعة بينهم والتي تجعلهم يظلمون بعضهم البعض بدون إدراك منهم أنهم يظلمون ويقع المظلوم ضحية بينهم دون ان يكون له ذنب يستوجب ظلمه، مثال ذلك ماكان يسمى بعلم الفراسة القديم حيث الأحكام المسبقة على الأشخاص طبقا لأشكالهم فجمال الخلقة دال على حسن الخلق ودمامته يدل على سوء الخلق او مثال بعض الأمثال الدارجة منها : (إذا شفت الأعمى كبة أنت مواشفق عليه من ربه) والله يعرف السلاية .(٣٤). وغير ذلك من الصفات السلوكية التي تحولت الى لغة تعبيرية مألوفة تكرس تلك الأنساق القيمية التي اعتادوا عليها ((كنزعة الحرب وعدم الانضباط للدولة وأهمية النسب وصيانة المرأة وشرفها واحتقار المهن كالحدادة والنجارة والدباغة والحلاقة والحياكة والحساسية المفرطة للكرامة وحب الرئاسة والإمرة والنفرة من الطاعة والانصياع والحسد والنفاق والانتهازية والوفاء بالوعد)) (٣٥) ، فاحتقار مهنة التجارة عند الأدباء يعللها الدكتور الوردي بقوله : ((ان الأدباء عاشوا في أحضان الأمراء فاقتبسوا منهم قيمهم الاجتماعية فالأمير بوجه عام يكره ان يكون كالصعاليك عاملا كادحا يكسب رزقه بعرق جبينه انه يحتقر الصعاليك ويحتقر الطريقة التي يكسبون بها وقد حذا الأدباء حذو أسيادهم في ذلك طبعا)) (٣٦) ، ومثل ذلك قيمة الشجاعة فقد قضت نواميس الصحراء أن لايعيش فيها الا القوي الشجاع أما الضعيف الجبان فيها فلا بد أن يهلك عاجلا او آجلا ،.. والظاهر ان الشجاعة وحدها لاتكفي في حياة الصحراء فلا بد أن يكون في كل قبيلة من يدافع عنها بلسانه كما يدافع الفارس عنها بسيفه يقول الشاعر البدوي : (٣٧)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

والمعروف عن القبيلة في الجاهلية أنها كانت تحتفل بنبوغ الشاعر على منوال ماتحتفل بنبوغ الفارس الشجاع:((ولقد كانت العربُ تَعُدُّ الشّعرَ خطيراً، وترى الشاعرَ أميراً، فإذا نبغَ في القبيلة شاعرٌ هُنِّئَتْ به،وحُسِدَتْ من سبَبه، لأنه ينافِح عن أنسابِها، ويكافِح ويناضلُ عن أحسابها.)) (٣٨) وهناك قيمة أخرى تضاف الى القيم السابقة ، حاول الشاعر الجاهلي أن يرفع من شانها قبل أن ينفصل عن الجماعة وتبرز ذاته لتحل محلها ، وهي حماية الجار التي دعت إليها الظروف السالفة الذكر . فقد كان للجوار معنيان في الجاهلية : يتمثل الأول بنزول شخص قرب آخر من قبيلته أو من قبيلة أخرى ، نظراً لما ألمَّ به من التعب والمشقة في رحلته ، لذلك لا يستطيع مواصلتها ، فينزل في جوار شخص معروف بحمايته للجار ، لأن هذا الأمر سيشعره بالثقة والطمأنينة . أمَّا الثاني : فهو أن ينزل الشخص في حماية شخص آخر يستجير به لحمايته من عدّو يحاول النيل منه ، أوطالب ثأر يحاول نيل ثأره . (٣٩) ، وبذلك يتبين ان الوردي يسعى الى اثبات دور الوقائع والاحداث في بنية الخطاب

حنيحن

واستجابة اللغة والاسلوب الى تحقيق هذا الدور فالواقعان الاجتماعي والفكري هما الاساسان لحركة الخطاب ولانتاجه قبل ان يحل الكلام والقواعد والبيان والبلاغة هنا يسعى الوردي الى تعزيزه دوره هنا بصفته اجتماعيا في المجال النقدي الذي جرى بينه وبين محي الدين بصفته لغويا وادبيا.(٤٠)

ومن هنا يتضح أن حقيقة مؤلفاته فرضت سلطتها بما تحمله من تحليل لسلطة اللغة المعبرة عن القيم يقول رولان بارت : ((أن اللغة تقوم بوظيفة سلطوية، وتتجلى سلطتها إما على مستوى الشكل أو على مستوى المضمون. فعلى مستوى الشكل لا يمكن للفرد أن يمارس اللغة دون أن يخضع لضوابطها وقواعدها النحوية والتركيبية، أما على مستوى المضمون فإن تعلم الفرد اللغة يعني استبطانه لمختلف القيم والمضامين الفكرية التي تختزنها اللغة بحيث تصبح جزءا من شخصية الفرد وتمارس عليه سلطة سواء على مستوى القول أوالفعل.))(٤١)

المبحث الثاني : الطبقية الاجتماعية واللغة:

شُغل اللغويون بما تحدثه اللغة من فروق طبقية في المجتمع ، على اساسها يختلف التعبير بين طبقة وأخرى فيتباين السلوك على اثرها ، وهذا له علاقة بالمجتمع كما هو واضح، وكما يؤثر المجتمع بمعناه الواسع في تطور اللغة تتاثر ايضا بالمجتمعات الضيقة في داخل المجتمع الواحد فتظهر الفاظ وتعابير خاصة باصحاب الحرف المختلفة لايكاد يعرفها غيرهم ، يقول الدكتور السامرائي : ((وقد فطن الجاحظ الى استعمالات ولهجات الطبقات الدنيا في المجتمع في ايامه فهو يعرض للغة المتسولين والمحتالين ولاسيما ماجاء في كتاب (البخلاء) من هذا الباب ... كما اشار الجاحظ الى جماعة من هذه الجماعات التي ارتضت لنفسها ان تحيا حياة خاصة وهم اللصوص وقد كتب في الموضوع رسالة اسماها كتاب اللصوص)) (٤٢). فضلا عن ذلك تعد اللغة فيصلا في التمييز بين طبقة واخرى ليس على مستوى طبقة محددة من المجتمع بل قد يشمل مجتمعا باسره والدليل حينما انتقلت الناس من حياة البداوة الى الحياة المدنية الجديدة نراها قد تهذبت لغتها وابتعدت عما هو وحشي وفض لاينسجم مع الحياة الجديدة ، يقول علي عبد الواحد وافي : ((وانتقال الامة من البداوة الى الحضارة يهذب لغتها ويسمو باساليبها ويوسع نطاقها ويزيل ماعسى ان يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة، وان موازنة بين حالة اللغة العربية في عهد بداوة العرب قبل الاسلام وحالتها في عهد حضارتهم الاسلامية او بين ماكانت عليه عند اهل البادية في عصرما وما كانت عليه في الحضر في نفس هذا العصر لاصدق برهان على ذلك)) (٤٣) وتارة يكون السير على نظم اجتماعية ما له دوره وتاثير في اللغة حتى في ناحية القواعد فمخاطبة الفرد بضمير الجمع تعظيما له (ارجوان تتفضلوا..) واجراء الخطاب في صيغة الاخبار عن الغائب : (يتفضل سيدي) كل ذلك ومااليه من اساليب التبجيل لايبدو في اللغة الاحيث ينحرف الناس عن مبادئ المساواة وتكثر الفوارق بين الطبقات (٤٤) الى الحد الذي يؤدي فيه هذا التفاوت الطبقي الى نشوء لغات سرية عامية هي بنوع خاص لغة الاشقياء والخارجين عن القانون ممن يعيشون في خوف دائم من سطوته لانهم يحيون حياة على هامش المجتمع (٤٥) هذه الطبقية الاجتماعية التي تحدثها اللغة في نظر الدكتور الوردي هي مقصودة ومتعمدة يكون اغلبها بدافع التعالي والامتياز على الآخرين ، ويستند في ذلك إلى نظرية(فبلن)المشهورة المعروفة بنظرية(الطبقة الفراغية) وخلاصتها إن المترفين أو أبناء الطبقة الفراغية يحاولون بكل جهدهم أن يتخذوا من المظاهر والشعائر مايميزهم عن أبناء الطبقات الدنيا وهم يحرصون أن تكون معقدة وغالية الثمن لكي لايستطيع الفقراء منافستهم عليها.. ولاي كتفون بذلك بل يعمدوا إلى اللغة فيجعلوها عسيرة ذات قواعد معقدة حتى إذا جلس احدهم جاء بالكلام الفخم الرنان الذي يذهل العقول . (٤٦) ولعل بداية التأسيس لتلك الطبقية الاجتماعية من خلال اللغة تتضح في تفضيل اللغة العربية على غيرها ووصفها بأنها لغة الجنة ولها ولمن تكلم بها الميزة على الآخر يقول ابن منظور: ((إن لغة الجنة هي العربية لنزول الكتاب الخاتم بها)) (٤٧) ، وذهب العبريون الى ان ((العبرية كانت لغة الخليقة لغة اول انسان خلقه الله وهو آدم الذي ينتسبون اليه)) (٤٨). وانهم شعب الله المختار استنادا الى معطى لغوي تأسس على نصوص مدونة في التوراة بان الله سبحانه وتعالى اول ماكلم آدم بتلك اللغة ، ولايعدو الامر في كل احواله عن منطق لغز اللغة الاولى كما يسميه عبد الواحد وافي (٤٩) ، الذي من شانه ولد تلك الطبقية الاجتماعية انطلاقا من لغة التعبيروادواتها ، الى الحد الذي يلحظ فيه انبعاث ذلك المظهر الى تفضيل لغة قريش على غيرها من لغة القبائل العربية ، اذ ورد عن عمر ابن الخطاب انه قال لابن مسعود((أَقْرِئ الناسَ بلُغَةِ قريشٍ))(٥٠) ،ووصفهم بانهم سدنة الكعبة وحراس اللغة وحماتها من الذين لايحسنون تعبيرا او تفقها من القبائل الاخرى ، يقول ابن خلدون : ((لاغرابة ان يكون العنصر العرقي ذاسطوة حاكمة على لغة ما)) (٥١) ، وقريش من حيث العرق لها خصوصية داخل المحيط العربي جعلتها تحتفظ باصولها العرقية واللغوية مع انها خالطت غيرها (٥٢) ، الا انها

حنيحن

عملت جاهدة على ان تميز نفسها عن غيرها بمظاهر شتى منها اللغة ، يقول الدكتور الوردي : ((ان اختلاط الناس في مكة يؤدي طبعا الى شيوع اللحن والرطانة الاعجمية فيها وقد دفع ذلك قريشا الى ان ترسل ابنائها منذ طفولتهم الى البادية ليتعلموا هناك الاعراب والنطق الفصيح وقد ادى ذلك الى ظهور فرق كبير بين لغة أبناء الاشراف من قريش ولغة غيرهم من ابناء الصعاليك ، كان الموالي والفقراء من اهل مكة غير قادرين على ارسال ابنائهم الى البادية فذلك يحتاج الى مال والمال غير متوافر لديهم وهم مضطرون اذن ان يقتبسوا لغتهم من محيطهم المختلط فتنشأ لغتهم الركيكة مملوءة باللحن اما الشريف القرشي فكان ينطق باللغة البدوية المعربة ومن هنا صار الناس يستمعون في مكة الى الرجل فان وجدوه يلحن في كلامه عدوه من السفلة واحتقروه)) (٥٣) ، ومن يعلم بفنونها ينظر له باحترام وتبجيل. أما عادة إرسال الأبناء إلى البادية فقد انقطعت تماماً بعد مجيء الإسلام وخاصة في المدينة المنورة كما يقول الوردي «لم يخبرنا التاريخ عن أحد أرسل ولداً له إلى البادية ليتعلم فيها اللغة في عهد محمد وخلفائه الراشدين». ولكن في العهد الأموي رجعت هذه العادة وذلك ليس حباً للغة بل من أجل التفاخر بها أمام الآخرين والاستعلاء على الأدنى من الناس ويشعرونهم بأنهم متميزون لغوياً وتارة يكون الندم عن عدم الارسال عند بعض الملوك حسرة على فقدان قيمة التمايز(٥٤) اذ يروى ان معاوية ارسل ابنه يزيد الى البادية وكذلك فعل عبد الملك بن مروان مع سليمان ولم يفعله مع الوليد فشب لحانا فقال فيه ابوه اضر بنا حبنا للوليد فلم نرسله للبادية (٥٥) مع ذلك هناك عامل اجتماعي آخر له دور في بروز ملحظ الطبقية الاجتماعية من خلال اللغة فالاشراف كانوا يدفعون صبيتهم الى ادبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشاوا على تفوقهم اللغوي مثال ذلك زهير بن ابي سلمى الذي عاش مع خاله بشامة بن الغدير الشاعر فخرجه شاعرا (٥٦) ، ليصبح في النهاية شخصية لها وقعها في المجتمع من خلال التمكن اللغوي والاجادة في فنون القول ، وغير ذلك من العوامل كوصف الشعراء لممدوحيهم بالفصاحة والاعراب والذم لمهجويهم باللحن والاخطاء اللغوية (٥٧) ، الامر الذي انشأ التباين الاجتماعي في المجتمع من خلال تبني هكذا مفاهيم بسببها حصل تمايز لغوي في الافكار والمعتقدات والقيم حين بنيت على صياغة تاويلية مختلفة عن سياقها السالف، يقول بعض الباحثين : ((ان هذه التمايزات اللغوية تتكون من تصنيفات اجتماعية كامنة في الخطابات الادبية التي تهب كل طبقة اجتماعية مستواها الاسلوبي والدلالي الذي يتلائم مع موقعها في المجتمع وعندما ياتي الوردي على ذكر هذه الخطابات المتصارعة يؤكد انها تتدخل فيما بينها ويستعين كل واحد منها بآليات الاخر ولكنها استعانة ضعيف بقوي يرى ان استعارة خطاب خصمه قد ترفع من مكانته في الواقع أي ان الضعيف ينفي التمايز الطبقي عبر تهشيم التمايز اللغوي بين خطابه وخطاب منافسه على ان الاكتنازات الدلالية للاسلوب قد توقع المستعير الضعيف فيما يود ان يخرج منه حيث تؤكد حضور التمايز في خطابه)) (٥٨) ، مثال ذلك ماذكره الوردي : في مشكلة الصعاليك بوجه عام انهم يقتبسون معاييرهم وقيمهم من الطبقة العليا وكثيرا مايسيئون الى انفسهم في ذلك حيث لايشعرون فالطبقة العليا تحتقرهم وتتكبر عليهم باساليبها المعقدة لكنهم يجارونها في تقديرهم لتلك الاساليب كانه لا يعرفونها بانها موضوعة للنكاية بهم (٥٩): وهكذا تصبح اللغات الجماعية واساليبها خطابات فكرة وعقائدية وعرقية تعبر في مستوياتها المعجمية والدلالية والتركيبية عن مصالح جماعية معينة (٦٠) ، ولاتتوقف الطبقية عند الزمن الماضي كما مر بل تتعدى ذلك كما يرى الوردي الى الزمن الحاضر حينما لجأ بعض المترفين الى حشر الكلمات الاجنبية في حديثهم استشعارا عند النطق بها بنوع من الاستعلاء لاسيما حين يجدون احدا من العوام يستمع اليهم وهذه الظاهرة موجودة ايضا في المحيط الغربي حيث تستخدم الطبقة الارستقراطية لهجة خاصة بها تميزها عن سواد الناس ففي بريطانيا مثلا يوجد مايسمى باللهجة الاكسفوردية وهي تختلف عن لهجة العوام ٢بالمئة بفخامتها وصعوبة النطق بها والناس هناك يحاولون ان يتعلموا هذه اللهجة لكي يظهروا بمظهر المثقفين من اولي الحسب والنسب ولايقدر على ذلك الا من كان من اسرة غنية واتيح له ان يدرس في جامعة راقية (٦١) ، وللمرأة نصيب في تلك الطبقية مما تظهره تمثلات اللغة وتركزه في بنية الخطاب التداولي يقول بعض الدارسين : ((ان الاختلافات الموجودة في كلام الرجال والنساء تعود الى الدور الاجتماعي المنوط بكل منهما ، او بسبب انتماء كل جنس الى ثقافة فرعية منفصلة انعكست آثارها في كلامه مما يمكن ان ينشأ عنه مايسمى بالهوية الاجتماعية ، او بسبب تبني منهج السيطرة والقهر الذي يرى النساء كزمرة مقهورة بحيث تكون الاختلافات اللغوية نتيجة لانعكاس سيطرة الرجل وتابعية المرأة)) (٦٢) ، فهي ظلت ابنة فلان وزوجة فلان وام فلان اما كينونتها فهي ككائن مستقل فظلت غائبة فهي كائن ذو تابعية للاب من جهة وللزوج من جهة ثانية وللابن من جهة ثالثة (٦٣) وبالفعل اصبح قانون النسب الأبوى ، منذ نشوء النظام السياسالعبودى،هو منبع القيود على المرأة فى جميع المجالات الفكرية والأدبية والاجتماعية والثقافية وليس فقط فى الحياة الجنسية ، ومن هنا التقسيم الصارم بين النساء والرجال والفروق الكبيرة المصنوعة بين الأنوثة والذكورة،لتبرير وتشريع الفروق الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والدينية (٦٤) ، اما اللغة فهي الحاضنة لتلك الفروقات ، فمحتوى اللغة ذاته يمكن ان يحمل تحيزاً ضد المرأة من شأنه ان يسهم في خلق نوع من التراتبية داخل اللغة ،سرعان ما تنعكس او تتحول الى تراتبية اجتماعية .

حنيحن
بحيث تعكس اللغة مستوى وعي الجماعة التي أبدعتها. ولما كان هذا الوعي قد تشكل في اطار بنية ثقافية تعكس تراتبية تغذي تفوق الذكر على الانثى وتبني علاقة لا مساواة اجتماعية بينهما يترتب عليها لا مساواة لغوية (٦٥) ، مثال ذلك ، ما يلحظ في ارتباط الكلمات الدالة على المرأة بمعانٍ سلبية فكلمة امرأة على سبيل المثال اشتقت من الجذر (مرا) أي الطعام ودلالته الاعتبارية بحسب ابراهيم الحيدري صلة المرأة بالطعام .اما كلمة نساء فقد اشتقت من جذر(نسا) ويعني ترك العمل ودلالتها صلة المرأة بالبطالة والاتكالية (٦٦) ، ومما ذكره الوردي في ذلك ان البدو يستخدمون في معاركهم فتاة خاصة تسمى العمارية ، والمفروض فيها ان تكون جميلة ومن ذوات الحسب والنسب فيهم فهي تركب في هودج على ناقة وتكشف عن رأسها وتحاول ان تتقدم القوم في القتال لتحرضهم عليه فهي تنادي باسماء الرجال وتشجعهم بذكر مفاخرهم الماضية واذا رأت احدا منهم يفر من ميدان المعرك عنفته واثارت فيه نخوة الرجولية (٦٧) ، فالملاحظ في النص الوردي انه يتحدث عن سلوك معتاد في الحرب عند العرب الا انه يظهر التمثل الذكوري في اللغة بقوله (تنادي باسماء الرجال) فكأن اسمائهم لها من المنزلة ما يفوق تسمية الانثى. التي اغلبها يشير الى الصلابة ك((حجر وصخر وفهر وجندل وجبل او يشير الى القوة والغلبة كمالك وظالم وغانم وغالب وعاصم وفاتك ومنازل ومقاتل وطارق وسيف وحرب وضرار .. والذي يلفت النظر فيها ان الكثير منها ماخوذ من اسماء الحيوانات الضارية او المؤذية)) (٦٨) ، اما النساء فيمكن الاستدلال على دونيتها من خلال ما وصفت به يقول الزبيدي في التاج : ((واستحذاه استعطاه الحذاء أي النعل .. والحذاء الزوجة لانها موطوءة كالنعل)) (٦٩) ،وكذلك تسميتها بعَبْقَرٌ: وهو اسْمٌ من أسْماء النِّسَاء ،وقيل انه مَوْضِعٌ بالبادِيَةِ كَثيرُ الجِنّ، وفي المَثَلِ " كأنَّهم جِنُّ عَبْقَرٍ " وقيل هي الحَيَّة.(٧٠) ، وهو امر لايخلو من مرجعيات ميثولوجية دفعت الى ذلك التصور: ((فاللغات السامية حين خلعت على بعض الاسماء فكرة التأنيث قد تأثرت بعوامل دينية واخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التي جعلت الساميين في قديم الزمان يرون في المراة غموضا وسحرا وينسبون لها من القوى الخارقة مالم يخطر ببال من جاءوا بعدهم ثم ضموا الى المراة كل الظواهر الطبيعية التي خفي عليهم تفسيرها ودق على اذهانهم فهمها بجامع الغموض والسحر.. وادت تلك المعتقدات الخرافية الى اعتبار بعض الاسماء مؤنثة لانها تعبر عن ظواهر غامضة ليس من السهل عليهم تفسيرها واشبهت لهذا في اذهانهم ما احاطوا المراة به من سحر وخرافة)) (٧١). وهناك قاعدة بيانات طويلة تتضح فيها تلك الطبقية اللغوية المعززة لدائرة ذكورية الرجل كقولهم عند وأد البنت حية ((نعم القبر صهر، ودفن البنات من المكرمات وشاوروهن وخالفوهن وجنبوهن الكتابة ولم يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة)) (٧٢) ، وغيرها من الاشارات التي عززت الا نموذج الابوي المتسلط وفق قيم المدون الكتابية المعبرة عن السلوك الفعلي .

الخاتمة ونتائج البحث .

+اثبت البحث ان الدكتور الوردي لم يكن بمعزل عن المشروع الثقافي المعرفي الذي تتداخل فيه الرؤى والتحليلات المنتجة لقيم المجتمع من خلال اللغة وغيرها.
+القيم الاجتماعية ليست بعيدة عن تشكيل الواقع اللغوي ذي الخصائص المحددة فالمتنابزات والمفاخرات والتنازعات ولغة الحكي اليومي وهي ممارسات لغوية خير ما يمثل القيم المجتمعية عند الدكتور الوردي .
+تجلي الوظيفة اللغوية وانعكاسها على صناعة الوعي الاجتماعي من خلال اللغة المكتوبة كما في اسطورة الادب الرفيع الذي كشف فيه عن سلطة الشعر واللغة في التفكير .
+ تغليف الوعي الاجتماعية بأنساق لغوية استطاعت ان تمرر في الذاكرة بوساطة اللغة المنطوقة كما في وعاظ السلاطين والأحلام بين العقيدة والشعور وخوارق اللاشعور ومهزلة العقل البشري وهي بمجملها انساق لم تخلو من دوافع أيدلوجية وأخرى سلطوية .
+ كشف الدكتور الوردي ان كثيرا من التداوليات الممارسة كلغة الشعائر والطقوس الدينية هي افعال مقدسة عند الافراد لا يمكن حصول الاعترض عليها او القول بتناقضاتها أي انها ذات لغة ارغامية راسخة في الوعي نتيجة الاستعمال اللغوي المؤدلج المكثف في تلك الخطابات .
+ الواقع الجاهلي عند الوردي خير ما يمثل صورته الحقيقية هو الشعر بما فيه من قيم ـ كالعصبية والغزو والمروءة والكرم والقسوة والشهامة والاخذ بالثأر وغيرها ـ تحولت الى خطاب ذي وظيفة ابلاغية يتداول ويفتخر به بين قبيلة واخرى وشخص وآخر . كرست في النهاية عملية تنميط الافكار والمشاعر بهذه القيم .
+ شيوع الطبقية في المجتمع لاتقف عند الفروق الاقتصادية او العرقية عند الوردي بل للغة الجانب الاوفر في احداث ذلك الشرخ الاجتماعي ، وهو امر قد سُبق الوردي فيه من علماء مشهورين كالجاحظ وابن خلدون وغيرهم .

حنيحن

+ افاد الوردي من نظرية (فبلن) المشهورة المعروفة بالطبقة الفراغية في هذا الموضوع عند حديثه عن سلطة لغة قريش وتفوقها على غيرها من لغات القبائل العربية الاخرى .
+ اثبت الوردي ان الطبقية اللغوية التي كانت سائدة في المحتمع العربي آنذاك هي ممارسات مقصودة من الخلفاء والامراء الذين كانوا يرسلون ابناءهم الى البادية ليتميزوا بالفصاحة وسلامة اللسان مقارنة بغيرهم .
+ استمرارية الطبقية الاجتماعية من خلال اللغة الى يومنا هذا عند الدكتور الوردي بفعل المتحذلقين الذين يميلون الى استعمال اللغة الانكليزية في حديثهم اظهارا للفرادة والتميز وهوامر له ظلاله في احداث الفروق الاجتماعية.
+لا تبتعد اللغة عن احداث الطبقية الاجتماعية بين الرجل والمراة من خلال استعمال الالفاظ المهينة والجارحة لكرامة المراة ومكانتها او تارة يكون ذلك الاحداث الطبقي باحياء الموروث الذي يقلل من قيمة المراة وجعله اسلوبا تداوليا يوميا .

الهوامش

(١)التراث العربي: خليل احمد خليل:٧٨
(٢)اللغة العربية كائن حي :٧
(٣)اللغة والمجتمع: ٩
(٤)اسطورة الأدب الرفيع: ١٢٨ وينظر: المدخل إلى علم اللغة::١٢٦
(٥)اللغة :فندريس : ٣٥
(٦)المدخل الى علم اللغة :١٢٦،١٢٧
(٧)المشروع الفلسفي والثقافي للدكتور الوردي :١٨
(٨)الحسن، إحسان محمد (د)، موسوعة علم الاجتماع: ص٥١٤.
(٩)غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع:، ص٥٠٤
(١٠)شخصية الفرد العراقي :٥٢
(١١)طبيعة المجتمع العراقي: ٦٩
(١٢)طبيعة المجتمع العراقي: ٨٩ ، وينظر: المشروع الفلسفي والثقافي عند الوردي :١٢
(١٣)المشروع الفلسفي والثقافي عند الوردي : ٢٢
(١٤)اسطورة الادب الرفيع: ٦٧
(١٥) وعاظ السلاطين:٤٧.
(١٦)المشروع الفلسفي والثقافي : ٨٧
(١٧)شخصية الفرد العراقي : ٣٣ والوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي: ١٠٧.
(١٨)ملامح الشخصية العراقية: صلاح عبد الرزاق: ٢٢٨
(١٩)طبيعة المجتمع العراقي: ١٠٣
(٢٠)المشروع الثقافي والفلسفي: ٢١
(٢١)(المجتمع العراقي :٣٨
(٢٢)المشروع الفلسفي والثقافي : ١٦
(٢٣)شخصية الفرد العراقي :٣١، ٣٢
(٢٤)المجتمع العراقي: ٤١،المشروع الفلسفي والثقافي عند الوردي : ٢٤
(٢٥) فكر علي الوردي السوسيولوجي قيس النوري:٥٧
(٢٦)الدكتور الوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي:١١٠.
(٢٧)المشروع الفلسفي والثقافي عند الوردي :١٧ (٢٨) اسطورة الادب الرفيع: ١٣٤
(٢٩) الديوان : ٨٥
(٣٠)المجتمع العراقي:٤١،
(٣١) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: ١٥٤
(٣٢)لامية العرب للشنفري : ٨٦

حنيحن

(٣٣)العقد الفريد: ٢٦٩/٢

(٣٤)علي الوردي :من معالم الظلم الاجتماعي في مجتمعاتنا جريدة الجمهوريةالبغدادية العدد:٨٢٥٠ /١٩٩٢:ص:٥٠

(٣٥)ملامح الشخصية العراقية:صلاح:٢٢٨

(٣٦)اسطورة الادب الرفيع: ١٠

(٣٧)الديوان :٦٥

(٣٨) العمدة : ١٩٦

(٣٩)نحن العرب:٢٦٦،٢٦٤

(٤٠)علي الوردي والمشروع العراقي:٢٨٢. .

(٤١)لذة النص : ٥٦

(٤٢) البخلاء : ١٣٨ ، ودراسات في اللغة : بغداد ١٩٦١: ١٩٩

(٤٣)اللغة والمجتمع : ١١ ،

(٤٤) م.ن :١٤.

(٤٥)المدخل الى علم اللغة: ١٣١.

(٤٦)أسطورة الأدب الرفيع: ١٩٣، ١٩٤،

(٤٧)لسان العرب:٧/١

(٤٨)الصهيونية واللغة: ٣

(٤٩)علم اللغة:٩٨

(٥٠)لسان العرب: ٢٧/١٥

(٥١)المقدمة : ٣٧٩

(٥٢)لغة قريش: ٦٥

(٥٣)اسطورة الادب الرفيع: ١٩٦

(٥٤) ينظر:م.ن: ١٨٧

(٥٥)ينظر:العقد الفريد : ١٩٢/٢،

(٥٦)ينظر:المعجم العربي : حسين نصار: ١٤

(٥٧)ينظر:م.ن :٢١

(٥٨)علي الوردي والمشروع العراقي : ٢٧٨

(٥٩)اسطورة الرفيع :١٤٥

(٦٠)الوردي والمشروع العراقي :٢٧٩

(٦١)اسطورة الرفيع : ١٩٥

(٦٢)اللغة واختلاف الجنسين: ٣٣

(٦٣)الذهنية العربية :٤٤٣،

(٦٤)اللغة والجنس : ٩٧

(٦٥)علم اللغة الاجتماعي : هدسن : ٧٨

(٦٦)ابراهيم الحيدري: النظام الابوي واشكالية الجنس عند العرب (بيروت : دار الساقي ٢٠٠٣) ص ٢٨٣.

(٦٧)طبيعة المجتمع العراقي : ٦١

(٦٨)م.ن : ٦٥

(٦٩)تاج العروس: ٨٣٤٠/١

حنيحن
(٧٠) العين: ١١٤
(٧١)اللغة واختلاف الجنسين :٤٩- ٥٠
(٧٢) البنية الذهنية :٤٤٩

مصادر البحث ومراجعه

+أسطورة الأدب الرفيع،علي الوردي،منشورات سعيد بن جبير قم المقدسة،ط١ ٢٠٠٠.
+البخلاء ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، القاهرة ١٩٣٨.
+تاج العروس ،الزبيدي ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٨م .
+التراث العربي: خليل احمد خليل ،ط ٣ بيروت: دار الطليعة ١٩٨٥ .
+دراسات في اللغة ، ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٦١
+دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، علي الوردي ، مؤسسة السيدة معصومة ط١ ،١٤٢٦، .
+الدكتور علي الوردي ودراسة المجتمعين العراقي والعربي،د حميد الهاشمي ، صفحات للدراسات والنشر سورية ،ط١ ٢٠١١.
+ديوان كعب بن زهير ، شرح ديوان كعب بن زهير، للسكري ، القاهرة ، ١٩٥٠.
+الذهنية العربية الثوابت والمتغيرات مقاربة معريفية ، د. حسن حميد ، دار نينوى للدراسات والنشر سورية ٢٠٠٩.
+شخصية الفرد العراقي، علي الوردي ، مؤسسة اعلام العراق في القرن العشرين ١٩٩٠.
+الصهيونية واللغة ، فاروق محمد جودي ،دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٧.
+علم اللغة الاجتماعي : هدسن، ترجمة محمد عبد الغني عياد ، بغداد: دار الشؤون الثقافية ١٩٨٧.
علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٩.
+العقد الفريد، ابن عبد ربه ، تحقيق احمد امين واخرين ، القاهرة ١٩٤٨.
علي الوردي :من معالم الظلم الاجتماعي في مجتمعاتنا جريدة الجمهورية البغدادية العدد:٨٢٥٠ /١٩٩٢
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة – لبنان ، ط٤/١٩٧٢م
العين ،الفراهيدي ، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨١م.
++فكر علي الوردي السوسيولوجي ، قيس النوري، مجلة البحرين الثقافية العدد (١٢) ١٩٩٧.
+لامية العرب ،للشنفري ، د.ت.
+لذة النص ، رولان بارت ، ترجمة منذر عياشي مركز الانماء الحضاري ،ط٢ ،٢٠٠٢.
+لسان العرب ،القاهرة: دار العربية للتأليف والترجمة بلا تاريخ.
+اللغة :فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص، مكتبة الانجلومصرية،١٩٥٠
+اللغة العربية كائن حي ،جرجي زيدان دار الجيل بيروت لبنان ط٢ ١٩٨٨.
لغة قريش دراسة في اللهجة والاداء، مهدي حارث الغانمي ط١ بغداد ٢٠٠٩.
+ اللغة والجنس، نوال السعدوي ، المكتبة الوطنية بغداد ط٢ ١٩٨٤.
+اللغة والمجتمع،علي عبد الواحد وافي دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٧١م.
+اللغة واختلاف الجنسين ، احمد مختار عمر عالم الكتب ط١ ١٩٩٦.
المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة ط٣ ١٩٧٧.
+ المشروع الفلسفي والثقافي للدكتور الوردي ، حيدر سلامة ، بحث منشور في الانترنت.
++المعجم العربي ، حسين نصار ، دار مصر للطباعة والنشر ط٤ ١٩٨٨.
+المقدمة ، ابن خلدون ، مكتبة المثنى بغداد ،د.ت.
ملامح الشخصية العراقية، صلاح عبد الرزاق ، مجلة مدارك ، العدد الاول . ٢٠٠٤.
+ موسوعة علم الاجتماع:الحسن، إحسان محمد .بيروت:الدار العربية للموسوعات١٩٩٩
+النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب ،إبراهيم الحيدري: بيروت : دار الساقي ٢٠٠٣) ص ٢٨٣.
+ وعاظ السلاطين،علي الوردي، منشورات سعيد بن جبير ايران قم ط١ ٢٠٠٥.